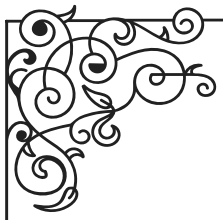
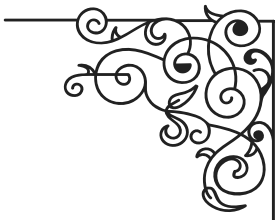

الإبدال والعلاقة الاتساقية سور السّبعِ الطوالِ إنموذجاً

أ. م. د. خليل عبد المعطي عثمان المايع

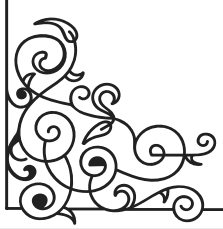
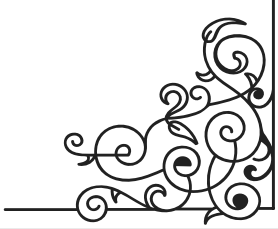

خلاصة البحث

لقد حظي الإبدال بالعناية من قبل القدماء والمحدثين على حد سواء، فقد تناوله القدماء بوصفه تابعاً من التوابع، والنّصيون تناولوه بأنّه وسيلة من وسائل التماسك النّصي، مع الإشارة إلى الاختلاف بين الإبدال أو الاستبدال عند النّصيين وبين البدل عند النحويين العرب .
لذا تبين أَنَّ ما يسمّى عند البصريين (بدلاً) يفهم منه ؛ إنَّ البدل يحلّ محلّ المبدل منه، ولا يعني هذا أَنَّ البدل يلغي وجود المبدل منه، أو يعني ترك الأوّل ليحلّ محلّه الثاني، إنمّا يأتي للبيان وإزالة التوهم والالتباس.
وإنَّ الإبدال يُسهم في جعل النّص وحدة دلالية متجانسة، وبفضل العلاقة الاتساقية التي تنشأ بإحالة الاختلاف في اللفظين ليدل على المعنى المقصود، والأنسب للغرض المراد في اتساق النص القرآني وانسجامه، وكذا الإبدال في الحروف ينشأ دقّة في المعنى يتفق مع جرس الحرف المُختار، فكأنّ هناك اختياراً مقصوداً للصوت ليؤدي المعنى المُغاير لما يؤديه الصوت الآخر.

❊ ❊ ❊

Research Summary:

The substitution was cared for by the ancients and the modernists alike، as the ancients took it as an auxiliary of the followers، and the textualists considered it as a method of textual adherence، with reference to the difference between the substitution or the substitution of the textuals and the substitution of the Arab grammarians. Therefore، it turns out that what is called by the visualists (instead) is understood from it; that the allowance replaces the substitute of it، and this does not mean that the allowance eliminates the existence of the exchanger from it، or means that the first is left to replace the second، but rather comes to the statement and remove the illusion and confusion.

❊ ❊ ❊

توطئة

الحمد للــه رب العالمين، حمداً يوافي نعمه، ويدفع عنــا نقمــه ويكافئ مزيــده، والصلاة والســلام على الصادق الأمين الذي بعثه الله رحمة للعالمين بلسان عربي مبين. وعلى اله وصحبــه الذين نشروا دعوته، بفصاحة اللسان وقوة الحجة وحسن البيان .

وبعــد؛ فتعد ظاهرة الإبدال مــن الظواهر البارزة في اللغــة العربيــة، إذ تناولها العلماء العــرب بالدرس والتحليــل عندما اخــذوا بجمع اللغــة ومفرداتها . حيث وجــدوا هذه الظاهرة واعتنــوا بها فجمعوا ما تمكنــوا من جمعه من ألفاظ هــذه الظاهرة وأطلقوا عليهــا الإبدال فألفــوا كتباً كان مــن أبرزها (القلب والإبــدال للأصمعــي (ت٢١٦هـــ) و(القلــب والإبــدال لابن الســكيت (ت٢٤٤هـــ) و (الإبدال والمعاقبــة والتظاهــر للزجاجــي) و (الإبدال لابي الطيب اللغــوي (ت٣٥١هـ) وغيرهــا من الكتب، فضلا عن المباحث والفصول في الإبدال في كتاب سـيبويه (ت١٨٠هـ) والمقتضــب وشرح المفصل وشرح الشــافية وغيرها التي افرد العلماء فيها أبوابا واسعة للإبدال.

- **الإبدال :**

حظي الإبدال بالعنايــة من قبل القدماء والمحدثين على حد ســواء، فقد تناوله القدماء بوصفه تابعاً من التوابع، والنصيون تنــاولوه بأنّه وســيلة من وسائل التماســك النّصي، مع الإشـــارة إلى الاختلاف بين الإبدال أو الاســتبدال عند النّصيين وبين البدل عند النحويــين العــرب . لذا قــال اللغويــون العرب في تعريــف الإبــدال هو ((أن تقيم حرفــاً مقام حرف – أو صوتاً مقام صــوت - إمّا ضرورة وإمّا صنعة وإمّا استحســاناً))[١]، أو أن تجعل صوتــاً أو حرفاً مكان آخر مطلقــاً. وهو أحــد التوابع في النحــو العربيّ، فهــو ((التابع المقصــود بالحكم بلا واســطة، وهو المســمّى باصطلاح البصريين بدلاً، وأمّا الكوفيّون فقال الأخفش يسمّونه بالترجمة والتبيين، وقال ابن كيسان يسمّونه بالتكرير))[٢].

لو تفحّصنا هذه المســمّيات لتبين لنا أَنَّ ما يســمّى عند البصريين (بدلاً) يفهم منه ؛ إِنَّ البدل يحلّ محلّ المبدل منه، وهو ما يفهم من قول المبرّد (ت٢٨٥هـ) ((إعلم أَنَّ البدل في جميع العربيّة يحلّ محلّ المبدل منــه... وأَنَّ البــدل والمبدل منه موجــودان معاً، لم يوضعا على أن يســقط أحدهما إلاّ في بدل الغلط، فإِنَّ المبدل منه بمنزلة مــا ليس في الكلام))[٣]. ولا يعني هذا أَنَّ البدل يلغي وجود المبدل منه، أو يعني ترك الأوّل ليحلّ محلّه الثاني، إنمّا يأتي للبيان وإزالة التوهم والالتباس، كما واشترط الفرّاء (ت٢٠٧هـ) لحصــول الإبدال وجود علاقــة صوتية بين المبدل والمبــدل منــه، كقرب المخــرج، أو الاشــتراك في بعض الصفات الصوتية كالجهر والهمس، والشــدة والرخاوة[٤]،وتبعه المبرد في كتاب الكامل وساق أمثلة لذلك [٥]، وعند ســيبويه نجــده يلمّح بوجود شرط عند حديثه عن إبدال المعرفة من النكرة ؛ فقوله ((أمّا بــدل المعرفة من النكرة، فقولــك مررت برجل عبد اللــه كأنه قيل له بمن مررت أو ظنّ أنّه يقال له ذلك فأبدل مكانه ما هو أعرف منه، ومثل ذلك قوله تعالى

﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشُورَى الآية ٥٢] ، وإن شئت قلت مررت برجل عبد الله كأنه قيل لـك من هو أو ظننت ذلك)) [٦]، يدلّ على أَنَّ البدل هنـا جاء لبيـان المبدل منه إذ إنَّ البـدل هو المبدل منه، وهو خلاف بدل الغلط الذي يكون المبدل غير المبدل منه .

فالبـدل إنمّا يـأتي في الكلام لأجل بيـان وإيضاح كلام سـابق، وهذا الإيضاح يسـهم في جعل البدل والمبدل منه جزءاً واحداً في الكلام، وذلك بالإحالة التي يحيلها البدل، عندما يزيل إبهام المبدل منه، أو عندما يفصّله، ويبيّن معناه، لأنّ الغرض من الإبدال هـو ((التقريب بـين الصوتين المتجاورين تيسـيراً لعملية النطق، واقتصاداً في الجهد العضلي))[٧] .

ودليـل النُّحـاة عـلى أَنَّ العامل في البـدل غيره في المبـدل منـه، قولـه تعـالى : ﴿قَـالَ ٱلْمَـلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْـتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْـتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأَعْرَاف الآية ٧٥] ، ففي قوله تعالى : ﴿لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ﴾ [الأَعْرَاف الآية ٧٥] بدلا من ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ [الأَعْرَاف الآية ٧٥] وهو بدل البعض لأنّ المؤمنين بعض المستضعفين وليس كل المستضعفين، وهنا قد ظهر العامل، ورأي النحاة أنّه لو ((كان العـامل في البدل هـو العـامل في المبدل منـه لأدّى إلى محال وهو أن يكـون قد عمل في الاسـم عاملان، وهما اللام الأولى واللام الثانية، إذ إنّ حروف الخفض لا تعلّق عن العمل)) [٨]، والرأي عند ابن يعيش (ت٦٤٣هـ) أن البدل مسـتقل بنفسـه، وليس تتمة للمبدل منه ؛ فإذا قلت : رأيت أخاك زيداً، فالتقدير : رأيت أخاك رأيـت زيداً، فالعامل في البـدل مقدّر، وإنمّا حذف لدلالة العامـل الأوّل عليه، لذا فـإنَّ البدل من غير جملة المبدل منه [٩] .

إنَّ ما يعنينـا هنا أَنَّ البدل بحرفيـه أو بجملتيه، إنمّا يجـيء لغايـة هي ربـط أجـزاء الكلام عـن طريق الإيضاح والتبيان والتفسـير وإزالة الإبهام، وبقي أن نُشير إلى أَنَّ البدل كما يبدل فيه الحرف من الحرف، يبدل فيه الاسم من الاسم، كذلك الفعل من الفعل، ولا يبـدل الفعل من الفعل إلاّ ((ذا كان ضرباً منه... نحـو قولـك: إن تأتني تمـشي أمشي معـك ،لأَنَّ المـشي ضرب مـن الإتيـان، ولا يجـوز أن تقول : إن تأتنـي تـأكل آكل معـك، لأَنَّ الأكل ليـس من الإتيان في شيء))[١٠] . وعليـه يكون التحليل على الشكل الآتي :

١- الإبدال بين الحروف المتدانية في المخرج :

ويراد بالحـروف المتدانية في المخـرج ((ما كانت الحروف فيه أدنى إلى بعضها في المخرج من غيرها إذا كان معها فيه غيرها ...واسـتعملت كلمة الأدنى والتداني إشـارة إلى ذلك من قول العرب هو جاري الأدنى، فهـذا أشـد صلة من الجار بإطـلاق))[١١] .

ويمكن أن نقسم الحروف المتدانية على أقسام :

أ- السين والصاد :

يقـع الإبـدال بـين السـين والصـاد ؛ لأنهـما من مخـرج واحد وهو ((مما بين طرف اللسـان وفوق الثنايـا)) [١٢]، كـما أنهـما اتفقـا في صفتي الهمس والرخـاوة ، وانفرد الصاد بصفة الإطباق في حين أن السين لا إطباق فيه [١٣] .

وقد اهتم العلـماء القدامى بهـذه الظاهرة الصوتية

ولم يغفلوا عنها وقد سمّاها سيبويه بالمضارعة والتقريب [١٤]. وقد شاع في القرآن الكريم إبدال السين صاداً، وفاق وروده سائر أنواع الإبدال الأخرى، وعُدَّ هذا الإبدال مظهراً من مظاهر اللهجة القريشية في حين كان النطق بالسين، وخاصة في كلمة الصراط (السراط)، لغة عامة العرب [١٥]. ومما ورد في الكتاب العزيز من الآيات كثرة بدءاً من أول سورة الفاتحة ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفَاتِحَةِ الآية ٦] إلى آخره، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۗ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ۝٥١﴾ [آل عِمۡرَان الآية ٥١] ، ((والسّراط : الجادّة من سرط الشيء إذا ابتلعه ... والصراط من قلب السين صاداً لتجانس الطاء في الإطباق، لأن الصاد والضاد والطاء والظاء من حروف الإطباق ... والسين قراءة ابن كثير في كل القرآن، وهي الأصل في الكلمة، والباقون بالصاد الخالصة، وهي لغة قريش، وهي الثابتة في المصحف))[١٦]، ويرى إبراهيم أنيس أنّ الصراط بالصاد هو الأصل بدليل ورودها في القرآن الكريم، ثم تطوّرت حتى شاع فيها نطق آخر بالسين، وليس الأمر أن السين هي الأصل كما يتصوّره الرواة [١٧]، وعلّل ابن جنّي إبدال السين صاداً عندما تأتي مع حرف من أحرف الاستعلاء (خ، ص، ض، ط، ظ، غ، ق) ((أن حروف الاستعلاء تجتذب السين عن سَفَالها إلى تعاليهن، والصاد مستعلية . وهي أخت السين في المخرج))[١٨]. وبذلك يكون السين والصاد فضلاً عن اشتراكهما في المخرج والهمس والرخاوة ؛ فإنهما حرفان صفيران، وأرجعَ بعض المحدثين هذا الإبدال إلى عامل المماثلة الذي هو تأثير الأصوات بعضها مع بعض[١٩]، لأنّ العرب تبدل السين صاداً إذا وقع بعدها طاء أو قاف أو غين أو خاء، لتسفل السين وهمسها، وتصعّد ما بعدها، وإطباقه وجهره ليكون عمل اللسان من جهة واحدة، فذلك أخف عليهم[٢٠] .

فإن قيل كيف كتبت في المصحف بالصاد وقرأها بعض القراء بالسين ؟ الجواب على هذا يكون ((إنّ الصحابة كتبوها بالصاد تنبيها على الأفصح فيها، لأنهم يكتبون بلغة قريش واعتمدوا على علم العرب . فالذين قرأوا بالسين تأولوا أن الصحابة لم يتركوا لغة السين للعلم بها فعادلوا الأفصح بالأصل. ولو كتبوها بالسين مع أنها الأصل لتوهم الناس عدم جواز العدول عنه لأنه الأصل والمرسوم كما كتبوا المصيطر بالصاد مع العلم بأنّ أصله السين فهذا مما يرجح الخلاف فيه إلى الاختلاف في أداء اللفظ لا في مادة اللفظ لشهرة اختلاف لهجات القبائل في لفظ مع اتحاده عندهم))[٢١] .

إذن يمكن أن نستنتج ملمحاً آخر أنّ العلماء قديماً وحديثاً قد أعتدوا في رؤيتهم التي قدّموا فيها القراءة بالصاد المبدلة على الزاي بمرتكزات هي :

- موافقة قراءة (الصراط) للرسم العثماني، قال السيوطي (ت٩١١هـ): ((وانظر كيف كتبوا «الصراط» بالصاد المُبدلة من السين وعدلوا عن السين التي هي الأصل ؛ لتكون قراءة السين وإن خالفت الرسم من وجه قد أتت على الأصل فيعدلان))[٢٢].

- إنّها قراءة الرسول ﷺ أخرج الحاكم في مستدركه أنّ رسول الله ﷺ قرأ (اهدنا الصراط) في فاتحة

الكتاب بالصاد [٢٣] .

- إنّ أبا علي الفارسي (ت٣٩٥هـ) قد ضعف قراءة من أخلص الصاد زاياً، بأنّ أبدل الصاد زاياً في نحو «**يُصْدِرَ** يشير إلى قوله تعالى ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ [القَصَص الآية ٢٣] » إذا تحركت الصاد نحو «صَدَرَ «لم يُبدل لحجز الحركة، فالاّ يبدل مع طول الفصل بالحرف والحركة في «الصراط» أي : ينبغي ألاّ تبدل من السين الزاي في «السراط» من أجل الطاء ؛ لأنّها قد تحركت [٢٤] .

- المقتضى الصوتي : وأنتهي منه إلى طرفين دقيقين في تلمس ظاهرة الإبدال وتسويغها ممّا نحن بصدده في هذا المقام .

- الأول : تداني الحرفين في المخرج والصفة، إنّ هذا التداني بين صوتي السين والصاد سوّغ الإبدال فيهما.

- الثاني : المُماثلة الصوتية، ظاهرة نتفيأ ظلالها في الدّرس الصوتي، ولعلها أهم ما ينهض بها الإبدال بين الحروف، فهي ضاربة جذورها في التراث الصوتي، فسماها سيبويه في أطراف حديثة عن الإدغام (بالمضارعة) [٢٥] .

ومن الأمثلة أيضاً إبدال السين صاداً في لفظتي «بصطة» و «يبسط». أمّا كلمة (بصطة) بالصاد فقد وردت في سورة الأعراف في قوله تعالى ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأَعْرَاف الآية ٦٩] يقول الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ) : ((وقولُهُ : بَصْطَةً ثبتَ في المصاحِف بِصَادٍ قبْلَ الطَّاءِ وهو مُرادِفُ بَسْطَةٍ الذي هو - بسين - قبل الطاء . ووقع في آيات أخرى . وأهمل الراغب (ت٥٠٤هـ) (بصطة) الذي بالصاد . وظاهر عبارة القرطبي (ت٦٧١هـ) أنه في هذه الآية (بسين) وليس كذلك)[٢٦] . ونظيره قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾ [البَقَرَة الآية ٢٤٥] ، ((وقوله : والله يقبض ويبصط: أصل القبض الشد والتماسك، وأصل البسط: ضد القبض وهو الإطلاق والإرسال، وقد تفرعت عن هذا المعنى معان : منها القبض بمعنى الأخذ ﴿فَرِهَٰنٌ مَّقْبُوضَةٌۖ﴾ [البَقَرَة الآية ٢٨٣] وبمعنى الشح ﴿وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْۚ﴾ [التَّوْبَة الآية ٦٧] ومنها البسط بمعنى البذل ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الرَّعْد الآية ٢٦] وبمعنى السخاء ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المَائِدَة الآية ٦٤] ومن أسمائه تعالى القابض الباسط بمعنى المانع المعطي . وقرأ الجمهور : «ويبسط» بالسين، وقرأه نافع والبزي عن ابن كثير وأبو بكر عن عاصم والكسائي ... بالصاد وهو لغة))[٢٧] .

ووردت في قراءة في سورة البقرة بالسين (بسطة) في قوله تعالى ﴿قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِۖ وَٱللَّهُ يُؤْتِى مُلْكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾﴾ [البَقَرَة الآية ٢٤٧] . يقول الدكتور فاضل السامرائي : إنّما ((وردت بالسين في وصف طالوت ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ﴾ [البَقَرَة الآية ٢٤٧] ووردت بالصاد في وصف في وصف قبيلة عاد قوم هود ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِى ٱلْخَلْقِ بَصْۜطَةًۖ فَٱذْكُرُوٓاْ ءَالَآءَ ٱللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأَعْرَاف الآية ٦٩] وطالوت إنما هو شخص واحد،

وأما عاد فهي قبيلة . ومن المعلوم أنّ الصاد أقوى من السين وأظهر، فكان السين الذي هو أضعف أليق بالشخص الواحد، والصاد الذي هو أقوى وأظهر أليق بالقبيلة))[٢٨] .

وجاء في كتاب البرهان للزركشي (ت٧٩٤هـ) «فصل حروف متقاربة تختلف في اللفظ لاختلاف المعنى» ((مثل ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ﴾ [البَقَرَة الآية ٢٤٧] ﴿وَزَادَكُمۡ فِي ٱلۡخَلۡقِ بَصۡۜطَةٗۚ﴾ [الأَعۡرَاف الآية ٦٩] ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٤٥﴾ [البَقَرَة الآية ٢٤٥] ، فبالسين السعة الجزئية كذلك علة التقييد، وبالصاد السعة الكلية بدليل علوّ معنى الإطلاق وعلو الصاد مع الجهارة والإطباق))[٢٩] .

وجاء في «البحر المحيط» في قوله ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البَقَرَة الآية ٢٤٥] القبض والبسط، تأويلات كثيرة : ((أي : يسلب قوماً ويعطي قوماً، أو : يقتر ويوسع، قاله الحسن البصري، أو : يقبض الصدقات ويخلف البذل مبسوطاً، أو : يقبض أي : يميت لأن من أماته فقد قبضه، ويبسط أي : يحييه، لأن من مدّ له في عمره فقد بسطه، أو : يقبض بعض القلوب فلا تنبسط، ويبسط بعضها فيقدّم خيراً لنفسه، أو : يقبض بتعجيل الأجل، ويبسط بطول الأمل، أو : يقبض بالخطر ويبسط بالإباحة، أو : يقبض الصدر ويوسعه، أو يقبض يد من يشاء بالإنفاق في سبيله، يبسط يد من يشاء بالإنفاق ... أو : يقبض الصدقة ويبسط الثواب ... وقرأ حمزة بخلاف عن خلاد... يبسط بالسين ...والباقون : بالصاد))[٣٠]، وقال ابن عطية (ت٥٤٦هـ) في محرره ((عن نافع : إنه لا يبالي كيف قرأ بسطة ويبسط بالسين أو بالصاد))[٣١] . أي أنّهما لغتان مثل (الصراط والسراط) والأصل هو السين، ولكنها قلبت صادا في (بصطه ويبصط) لوجود الطاء بعدها، ومخرجهما بعيد من مخرج السين، لأنّ الانتقال من السين إلى الطاء ثقيل بخلاف الصاد.

وبهذا جاءت كلمة (يبصط) بالصاد على اختلاف القراءات، وسائر ما في القرآن (يبسط) بالسين في عشرة مواضع (*)، وذلك أنّ البسط في آية البقرة مطلق عام لا يخص شيئاً دون شيء وفي غيرها مُقيد، ولا شكّ أنّ البسط المُطلق أقوى من المقيّد، فهو يحتمل البسط في الرزق وفي الأنفس وفي الملك وغيرها، فجاء للمُقيّد بالسين وللمُطلق الذي هو أقوى وأعم بالصاد[٣٢] .

وعليه يعتمد النّص أو الخطاب القرآني على موسيقى عذبة، تتغلغل إلى أعماق القلوب، مصدرها انتقاء الألفاظ ومدى خدمتها للمعاني فالسّور التي تتحدث عن العذاب ويوم القيامة تأتي الأصوات صاخبة فيها، تقرع الأذان، أما السّور التي تتحدث عن النّعيم و السّعادة، فيكون الإيقاع فيها هادئاً ليناً بطيئاً كما رأينا بين السين والصاد في اتفاقهما في صفتي الهمس والرخاوة، وما سنقف عنده من حروف الإبدال لاحقاً .

ب- الطاء والدال والتاء :

الطاء والدال والتاء أصوات أسنانية لثويّة[٣٣] اشتركت الطاء والدال منها في صفة الجهر، وانفردت التاء بصفة الهمس ؛ كما اتفقت هذه الأصوات الثلاثة في صفة أخرى، أنّها أصوات

شديدة [٣٤]، ومن أجل ذلك تبدّل فيما بينها . مثل اصطلح وأصله اصتلح فأبدلت التاء طاءً وكذا اضطرب وغيرها. ومما رصدناه من الإبدال بين الحروف المتدانية في المخرج قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ﴾ [البَقَرَة الآية ٢٤٧] إذ ذُكِر أنّ ((الطاء في اصطفاه بدل من التاء لمكان الصاد الساكنة))[٣٥] . قوله «اصطفاه» الأصل فيه اصتفى بالتاء فأبدلت التاء طاء ليسهل النطق بها بعد الصاد .

أما عن الدال والتاء فقد شاع عند العرب حدوث الإبدال بينهما ؛ بأن تبدل الدال تاء، والعكس صحيح أيضاً، فما جاء من الأول قوله تعالى ﴿عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النِّسَاء الآية ١٨] . قال الطبري (ت٣١٠هـ) : أن معنى (أعتدنا) الأصل أعددنا فقلبت الدال تاءً، ((واختلف أهل العربية في معنى «اعتدنا لهم». فقال بعض البصريين: معنى أعتدنا، (أفعلنا) من العَتَاد، قال: ومعناه أعددنا. وقال بعض الكوفيين: «أعددنا وأعتدنا» معناهما واحد فمعنى قوله: «أعتدنا لهم «أعددنا لهم))[٣٦].

ج- الباء والميم :

قد يستعمل القرآن كلمة في موطن ثمّ يستعملها في موطن آخر مبدلاً فيها حرف، وذلك نحو مكة وبكة ... وكل ذلك لغرض [٣٧]، فقد وَرَدَ إبدال الباء ميماً في قوله تعالى : ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [آل عِمْرَان الآية ٩٦] . وقال تعالى في سورة الفتح ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾﴾ [الفَتْح الآية ٢٤] . قال الدكتور فاضل السامرائي قوله في آية آل عمران «بكة» بالباء، وفي آية الفتح «مكة» بالميم وذلك ((بسبب إيرادها بالباء في آل عمران أنّ الآية في سياق الحج [ويوضح ذلك الآية التي بعدها مباشرة] ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ﴾ [آل عِمْرَان الآية ٩٧] ، فجاء بالاسم (بكة) من «البّك» الدّال على الزحام لأنّه في الحج يبكّ النّاس بعضهم بعضاً، أي يزدحم بعضهم بعضاً، وسميّت «بكة» لأنَّهم يزدحمون فيها. وليس السّياق في تماسكه وترابطه في آية الفتح، فجاء بالاسم المشهور لها، أعني(مكة) بالميم))[٣٨]. وبهذا المعنى ذهب أكثر المفسرين ((للذي ببكّة: أي للبيت الذي ببكّة، وهي علم للبلد الحرام، ومكّة وبكّة لغتان فيه، وقيل: مكّة البلد وبكّة موضع المسجد، وقيل : اشتقاقها من بكّة إذا زحمه لازدحام الناس فيه))[٣٩] . ويبدو أنّ مكّة وبكّة لغتان أي أنّه قد حصل إبدال بين الباء والميم، ونقل عن الزّجاج (ت٣١١هـ) قوله: «مكة » لا تنصرف لأنها مؤنَّثة، وهي معرفة، ويصلُح أن يكون اشتقاقها كاشتقاق «بكة»، والميم تُبدل من الباء، يُقال: ضَرْبة لازم، ولازب، ويصلُح أن يكون اشتقاقها من قولهم: امْتَكَّ الفَصيل ما في ضرع النّاقة : إذا مَصَّ مَصّاً شديداً حتى لا يُبْقي فيه شيئاً . فيكون سمِّيتْ بذلك لشدَّة الازدحام فيها))[٤٠] .

وكما يشير الدكتور حسام سعيد النّعيمي إلى الفرق بين الكلمتين بقوله : ((فكأنّ القرآن الكريم أراد أن يحدد موضع البيت الحرام في مكة فنصّ على أنّه

الموضع الذي يزدحم الناس حوله في الطواف، ولو قيل في غير القرآن : البيت الذي بمكة لحتمل أن يقول قائل: إنّ البيت العتيق مكانه موضع كذا من مكة وليس هذا الموضع، ولكن لما حدد بالموضع الذي يزدحم فيه الناس في الطواف انتفى احتمال هذا القول . وقد كان البيت قبل أن يكون مكة حيث أسكن إبراهيم من ذريته عنده ثمّ تكاثر الناس حوله فكانت البلدة . فيمكن على هذا القول أن نقول أنّ بكة هي الأصل ويراد بها الأرض التي يطوف الناس فيها مزدحمين حول البيت، ثمّ لما أرادوا تسمية البلدة أبدلوا الباء ميماً لما بين الحرفين من وحدة تماسك في المخرج وليفرقوا بين الكلمتين . فوافق اللفظ الجديد أصلاً من أصولهم هو «المك» أي المص الذي من معانيه الاهلاك والنقصان ...فهذان رأيان متقابلان أعني الرأي القائل بأنها من المص، والرأي القائل بأنها من الهلاك - يقول - يمكن أن يضاف إليهما رأي ثالث هو ما قدمناه من القول بالإبدال وأنّ الكلمة بالميم قد وافقت أصل «مك» موافقة من غير قصد))[٤١] .

والذي سوّغ الإبدال بين الباء والميم ؛ إنّهما حرفان شفهيان تقاربا في المخرج والصفة ؛ إذ إنهما مجهوران كذلك . ولا فرق بينهما سوى أنَّ الهواء مع الباء يتخذ مجراه من الفم، ومع الميم يتخذ مجراه من الأنف ؛ كما أنّهما اختلفا في صفة أخرى هي أنّ الباء حرف شديد والميم حرف متوسط شبيه بأصوات اللين أي ليس بالشديد ولا بالرخو [٤٢] .

ونَخلُص أيضاً ممّا تقدم أنَّ القرآن الكريم دقيق غاية في الدّقة في تماسك حروفه وسبك عباراته وهو لا يستعمل لفظتين بمعنى واحد وإن كانتا مُبدلتين . فهو يخص كلاً منهما بمعنى، حتى قيل ((وردت بالباء في سورة آل عمران مراعاة لتعداد الحرف «ميم» إذ لو وردت الكلمة بالميم لاختل الإحصاء في هذه السورة، إذ إنّ مجموع مكررات حروف «الم» التي تبدأ بها السورة «٥٦٦٢» مرة وهي تساوي «١٩ × ٢٩٨» ولو وردت «بكة» بالميم لكان المجموع «٥٦٦٣» وهذا العدد لا يقبل القسمة على «١٩» الذي هو القاسم المُشترك للحروف المقطعة كما يقال والله أعلم)) [٤٣] . فأي احصاء هذا وأية دقة هذه ؟ أيمكن أن يكون هذا من قبيل المُصادفات في التعبير أم هو القصد والإعجاز والتماسك والترابط النصي ؟ !

لقد تبين بهذا القول أنَّ السورة التي تبدأ بهذه الأحرف «الحروف المقطعة» تتكرر فيها هذه الأحرف بمقدار مُضاعفات التسعة عشر [٤٤]، ((لأنّ هذه السُّور إنّما وقع في أول كل سورة منها ما كثر ترداده فيما تركب من كلمها . ويوضح لك ما ذكرت أنّك إذا نظّرت سورة منها بما بماثلها في عدد كلمها وحروفها وجدت الحرف المُفتتح بها تلك السورة إفراداً وتركيباً أكثر عدداً في كلمها منها في نظيرتها ومماثلتها في عدد كلمها وحروفها ...)) [٤٥] .

٢- الإبدال بين الحروف المتقاربة في المخرج :

ويراد بها ((الحروف التي من مخرجين مختلفين ولكن موضعيهما في النطق متقاربان)) [٤٦]. ومن أمثلة الإبدال بين الحروف المتقاربة في المخرج :

أ- الثاء والفاء :

من مظاهر الإبدال في العربية إبدال الثاء فاءً، وما

يفسّر ذلك الإبدال، مجيء طائفة من الألفاظ وقعت فيها الفاء محل الثاء وهي مما يمكن أن تنسب إلى لغة دون أخرى . قال الفرّاء : ((العرب تبدّل الفاء بالثاء فيقولون : جَدَث وجَدَف، ووقعوا في عاثور شرّ، وعافور شرّ))[٤٧] . وقد أشار ابن جنّي إلى أن (جدث) تستعمل بالثاء عند أهل الحجاز وتبدل الثاء فاءً عن تميم[٤٨].

والإبدال بين الثاء والفاء فأنهما متقاربان في مخرجهما ومتفقان في صفتيهما ؛ فالثاء صوت مهموس رخو مخرجه مما بين طرف اللسان وأطراف الثنايا، والفاء كذلك صوت مهموس رخو إلا أن مخرجه من باطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا[٤٩]. أما الإبدال بين الثاء والفاء فقد ورد في قوله تعالى : ﴿فَٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ يُخۡرِجۡ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَاۖ﴾ [البَقَرَة الآية ٦١] ، ذكر أنّ الفوم هو الحنطة أو الثوم لقراءة عبد الله بن مسعود «وثومها» والثاء تبدل من الفاء[٥٠] . وما قيل يشير إلى اختلاف القدماء في لفظتي «الفوم والثوم» وأول هذه الآراء التي قيلت في هذا الإبدال ما نصّ عليه الفرّاء في معاني القرآن : ((فإن الفوم فيما ذكر لغة قديمة وهي الحنطة والخبز جميعاً قد ذكرا . قال بعضهم: سمعنا العرب من أهل هذه اللغة يقولون : فوِّموا لنا بالتشديد لا غير، يريدون اختبزوا))[٥١]، وتابعه الزجاج في هذا الرأي وعلل ذلك بقوله : ((محال أن يطلب القوم طعاماً لا بُرَّ فيه، والبُرُّ أصل الغذاءِ كله، ويقال : فوّموا لنا، أي اخبزوا بنا، ولا خلاف عند أهل اللغة أن الفوم الحنطة، وسائر الحبوب التي تخبز يلحقها اسم الفوم))[٥٢] .

ولابن جنّي رأيان في هذه اللفظة أعني (الفوم) الأول ما ذكره في كتاب سر صناعة الإعراب عندما قال : ((الفوم الحنطة وما يُختَبزُ من الحبوب، يقال : فوّمت الخبز، أي خبزته، وليست الفاء على هذا بدلاً من الثاء))[٥٣]، والثاني ذكره في كتابه المحتسب أنّه من الإبدال وأنهما بمعنى واحد، ما نصه ((الثوم والفوم بمعنى واحد كقولهم : جَدَث وجَدَف، وقام زيد ثم عمرو، ويقال أيضاً فمّ عمرو فالفاء بدل فيهما جميعاً))[٥٤] . وقد رجّح أحد المحدثين الرأي الثاني الذي يذهب إلى أن الفاء بدلاً من الثاء على أساس أن المحتسب قد أُلِّف بعد سر صناعة الإعراب فكان الكتاب المتأخر هو المعتمد بالإبدال[٥٥] . وهذا ما نراه الرأي الأصوب ؛ إذ أن قراءة بن مسعود (ثومها) بالثاء تدل على أنها لغة تميمية ؛ و((المعروف أن ابن مسعود يميل إلى لهجة تميم في قراءاته))[٥٦] .

وبهذا يبدو لي إنّ اختلاف الحرف الواحد في اللفظتين أو الحرفين، في مثل ما تقدّم يؤدي إلى ((اختلاف دقيق في المعنى المراد من اللفظ، وإنّ دقّة المعنى تتفق مع جرس الحرف المُختار، فكأنّ هناك اختياراً مقصوداً للصوت ليؤدي المعنى المُغاير لما يؤديه الصوت الآخر))[٥٧] . وقد لاحظ ابن جني أنَّ هذه الظاهرة في اختلاف الحرف الواحد أو أكثر في اللفظين ليست محدودة في ألفاظ قليلة في العربية لغة القرآن ((فإنّ كثيراً من هذه اللغة وجدته مُضاهياً بأجراس حروفه أصوات الأفعال التي عبّر عنها ألا تراهم قالوا «قضم» في

اليابس «وخصم» في الرّطب)) [٥٨] .

ب- الصاد والضاد :

الصاد والضاد صوتان اتفقا في الرخاوة والإطباق، واختلفا في الجهر والهمس؛ إذ أن الصاد صوت مهموس، والضاد صوت مجهور [٥٩] ؛ كما أنهما تقاربا في مخرجيهما، فمخرج الصاد ((مما بين طرف اللسان وفويق الثنايا - ومخرج الضاد من بين أول حافة اللسان وما يليها من الأضراس)) [٦٠] .

ومن أجل ذلك جاز الإبدال في العربية بين هذين الصوتين، على أنّ الضاد التي كانت تبدل من الصاد عند القدماء تختلف عما ننطقه الآن ؛ إذ إنّ الضاد القديمة كانت قريبة المخرج من الصاد، والعلاقة بينهما الإطباق، وإن كانت الضاد تختلف في تطوراتها التاريخية عن نطق الصاد، وهذه الضاد التي وصفت في كتب القدماء قد مرّت بأطوار تاريخية حتى وصلت إلى ما هي عليه في لهجاتنا الحديثة [٦١] .

أما الإبدال في القرآن بين الصاد والضاد فقد جاء في قوله تعالى : ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ﴾ [طه الآية ٩٦] ، قال النسفي (ت٧١٠هـ) : ((القبضة المرة من القبض .... وقُرئ فقبصت قبصة، فالضاد بجميع الكف والصاد بأطراف الأصابع)) [٦٢] . وقد جاء هذا المعنى عند ابن جنّي في قوله : ((القبض بالضاد معجمة باليد كلها . وبالصاد غير معجمة بأطراف الأصابع وهذا ما قدمت اليك في نحوه تقارب الألفاظ لتقارب المعاني، وذلك أن الضاد لتفشيها واستطالة مخرجها ما جعلت عبارة عن الأكثر، والصاد لصفائها وانحصار مخرجها وضيق محلها ما جعلت عبارة عن الأقل)) [٦٣] .

وبهذا اتخذت الدراسات الصوتية عند العرب القرآن الكريم أساساً لدراستها اللغوية، وآياته ميداناً لاستلهام نتائجها ابتداءً من التنوع في القراءات القرآنية وتعددها، وانتهاءً بفكرة الإعجاز اللغوي في التعبير والابدال وغيرهما التي تراءت في وصف سور القران وآياته ومنها سور السبع الطوال، وكان لهذا الاهتمام أن وصل الأمر إلى تحليل النص القرآني في اتساق آياته وانسجامها.

- إبدال اللفظ من اللفظ أو الجملة من الجملة :

يبدل اللفظ من اللفظ، كما تبدل الجملة من الجملة، وقد تبدل الجملة من المفرد، كما أبدل الصوت أو الحرف من أخر مع الفرق بينهما وفق ما يقتضيه السّياق .((لأنّ العين للماء ولم يستعملها للباصرة، وكما خصَّ «يشاقق «بمقام «ويُشاقَّ»[*] بمقام مع أنّهما لغتان مختلفتان فخصَّ كلّ لغة بسياق)) [٦٤] .

ومن أمثلة ذلك ما اختص به القرآن الكريم في استعمال العيون والأعين . فلم يستعمل العيون إلاّ لعيون الماء، وقد وردت كلمة «العيون» في القرآن في عشرة مواطن كلّها بمعنى عيون الماء نحو قوله تعالى ﴿۞ وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [البَقَرَة الآية ٦٠] ، في حين جمع العين الباصرة على أعين [٦٥] مثل قوله تعالى ﴿قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأَعْرَاف الآية ١١٦] وقوله ﴿تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ﴾ [المَائِدَة الآية ٨٣] .

هذا من جانب .

ومن جانب آخر، إذا نظرنا إلى الجمع وجدناه قد ورد في القرآن بصيغتين هما : ((أعين وعيون ليس على حسب القلة والكثرة كما يدعي النّحاة، ولكن حسب المعنى كما يبدو من تتبع الآيات القرآنية . فكيف يستساغ معنى القلة في آيات مثل: ﴿ قَالَ أَلْقُوا۟ ۖ فَلَمَّآ أَلْقَوْا۟ سَحَرُوٓا۟ أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٦﴾﴾ [الأَعْرَاف الآية ١١٦] . ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾ [الأَعْرَاف الآية ١٧٩] . مع أنّ معنى الكثرة هو الأنسب والأكثر ملاءة للسياق ؟ .

إنّ معنى المفرد في الحقيقة هو الذي وجّه الجمع إلى «أفْعُل «تارة»، وإلى «فُعُول» تارة أخرى، فلم ترد «أعين» في القرآن الكريم إلاّ جمعاً للعين الباصرة ... كما لم ترد «عيون» في القرآن إلاّ جمعاً لعين الماء...))[٦٦] .

نعرض مثال آخر لنصيّن كريمين، استبدل أحد اللفظين بالآخر، هما: قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾ [الأَنْعَام الآية ١١٢] وقوله تعالى في السُّورة نفسها ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ [الأَنْعَام الآية ١٣٧] .

يقف أمامنا في النّص لفظان، هما «ربك» و «الله» في قوله تعالى ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾ وقوله ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾﴾.

وبيّن الخطيب الإسكافي (ت٤٢٠هـ) قوله في الآيتين : ((للسائل أن يسأل فيقول كيف قال ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ﴾ [الأَنْعَام الآية ١١٢] في الآية الأولى وفي الثانية ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأَنْعَام الآية ١٣٧] ، وهل في المكانين ما يوجب اختلاف الاسمين ؟ .

والجواب أن يقال : إنّ الأولى قبلها قوله : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ﴾ [الأَنْعَام الآية ١١٢] أي : كان للأنبياء قبلك أذىً من قبل العدو من الإنس والجن، ولو شاء الله مَنْ ربّاك وقام بمصالحك لألجأهم إلى موافقتك وترك مخالفتك، وإن كان من يقوم بربابتك يحجزهم عن مضرتك، وأن يظفروا بمرادهم من عداوتك، فقد تضمّن قوله «ربّك» هذا المعنى، وقوله في الآية الأخرى «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ» جاء بعد قوله ﴿وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ وَٱلْأَنْعَٰمِ نَصِيبًا﴾ [الأَنْعَام الآية ١٣٦] فأخبر أنهم أقاموا لله الذي يحق إفراده بالعبادة شريكاً، ولو شاء الله، أي : ولو شاء من نعمته عليهم نعمة توجب التألّه له أن لا يعبدوا سواه ما تمكنوا من فعله فهذا موضع لم يلق به إلاّ الاسم الذي يفيد معنى فيه حجة عليهم دون غيره من الأسماء فأفاد كلّ اسم من الاسمين في مكانه ما لم يكن ليستفيد بغيره)) [٦٧] .

ومن أمثلة أبدال الجملة أو الكلمة بأخرى منه في آية البقرة «فَانْفَجَرَتْ» في قوله ﴿* وَإِذِ ٱسْتَسْقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنفَجَرَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾ [البَقَرَة الآية ٦٠] ، وفي الأعراف ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ ۖ فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا ۖ﴾

[الأَعْـرَاف الآية ١٦٠] ذكر أحمـد الغرناطي (ت ٧٠٨هـ) في «مـلاك التأويل» قوله: ((إبدال كلمـة بأخرى))، ومنـه قولـه تعـالى ﴿فَٱنفَجَرَتۡ مِنۡـهُ ٱثۡنَتَـا عَشۡرَةَ عَيۡنٗـاۖ﴾ [البَقَرَة الآية ٦٠] وفي الأعراف «فَانْبَجَسَـتْ» مع أن المعنى وأحد... يسـأل عن وجه اختصاص كل من الموضعين بمـا ورد فيه . الجواب : أنّ الفعلين وإن اجتمعـا في المعنى فليسـا على حدٍّ سـواء بل الانبجـاس ابتـداء الانفجار، والانفجـار بعده غاية لـه .. لأنّ الانبجـاس أول الانفجـار ..انبجسـت انفجـرت لكنه أخف من الانفجـار . وإذا تقرر هذا فأقول أنّ الواقع في الأعراف طلب بني إسرائيل من موسى «عليه السلام» السُّـقيا، قال تعالى ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡـقَىٰهُ قَوۡمُـهُۥٓ﴾ [الأَعْـرَاف الآية ١٦٠] والوارد في البقرة طلب موسـى «عليه السلام» من ربّه قال تعالى ﴿۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡـقَىٰ مُـوسَىٰ لِقَوۡمِهِۦ﴾ [البَقَـرَة الآية ٦٠] فطلبهم ابتداء فناسـبه الابتداء، وطلب موسى «عليه السـلام» غاية لطلبهـم لأنّه واقع بعده ومرتب عليه فناسـب الابتداء والغايـة، فقيل جواباً لطلبهم (فَانْبَجَسَتْ) وقيل إجابة لطلبه (فَانْفَجـرَتْ) وتناسب ذلك وجاء على ما يجب ولم يكن ليناسب العكس))[٦٨].

وبهذا كان الاختلاف في اللفظين ليدل على المعنى المقصـود، والأنسـب للغـرض المراد في اتسـاق النص القرآني وانسـجامه، فإنّه تعالى لمّا حكى عن موسى (عليه السـلام) قال ﴿۞ وَإِذِ ٱسۡتَسۡقَىٰ مُوسَىٰ لِقَوۡمِـهِۦ﴾ [البَقَـرَة الآيـة ٦٠] فلـما كان طلب من موسى (عليه السـلام) لربه، ناسـب التعبير عن ذلك بلفظ (**انْفَجَـرَتْ**) وهـو انصبـاب الماء بكـثرة، فكان من المناسـب في العلاقة بين السـائل والمسؤول ذكر اللفـظ الأبلغ، لهـذا جاء التعبير بلفـظ (الانفجار) دون (الانبجاس).

ولمّـا كان السـقى مـن بنـي إسـرائيل في قولـه ﴿وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسۡتَسۡـقَىٰهُ قَوۡمُهُۥٓ﴾ [الأَعْرَاف الآيـة ١٦٠] ناسـب ذلك لفـظ (**انْبَجَسَـتْ**) هو ظهور المـاء بدرجة أقل من الانفجار، ليتناسـب ذلك مع طلـب (قوم مـوسى) حتـى يكون هناك فـارق بين طلب موسى «عليه السلام» وطلب قومه.

ومـن الأمثلة أيضـاً مـا ورد في قوله تعـالى ﴿ وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُـم مِّـنۡ ءَالِ فِرۡعَـوۡنَ يَسُـومُونَكُمۡ سُـوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡـتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّـن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿٤٩﴾﴾ [البَقَرَة الآية ٤٩]، وفي سـورة الأعراف ﴿ وَإِذۡ أَنجَيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبۡنَآءَكُمۡ وَيَسۡتَحۡيُونَ نِسَآءَكُمۡۚ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَآءٞ مِّن رَّبِّكُمۡ عَظِيمٞ ﴿١٤١﴾﴾ [الأَعْرَاف الآية ١٤١] ، فالقضية في السُّـورتين واحدة، وقد ورد في سورة البقرة «نَجَّيْنَاكُمْ» مُضعفاً، وفي لأعراف «أَنْجَيْنَاكُمْ «غير مُضعف، وفي سـورة البقرة «يُذَبِّحُونَ «، وفي سورة الأعراف «يُقَتِّلُونَ».

جاء في مـلاك التأويل قولـه : ((إنّ الوارد في سـورة البقـرة مقصود بـه تعـداد وجوه الإنعـام على بني اسرائيـل وتوالي الامتنان ليبين شـنيع مرتكبـهم في مقابلـة ذلك الإنعـام بالكفـر ... فذكر نجاتهم من آل فرعون وفرق البحر بهم ونجاتهم وهلاك عدوهم بالغرق ،ثمّ ذكر عفوه عنهم في عبادة العجل وتوبته عليهـم ... فلما كان موضع تعـداد نِعَم وآلاء ذكروا بها ليزدجروا عن المخالفة والعناد ناسـبه التّضعيف

لإثباته بالكثرة، ولو قيل هنا ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم﴾ لما أنبأ بذلك ولا ناسب المقصود مما ذكر، وأيضاً فإنّ التّضعيف في «نَجَّيْنَاكُمْ» يناسب التّضعيف الوارد بعده في قوله «يُذَبِّحُونَ»، ولم يكن لفظ «أَنْجَيْنَاكُمْ» غير مضاعف ليناسب))[٦٩] .

أما إبدال الجملة في سورة البقرة «يُذَبِّحُونَ»، بجملة «يُقَتِّلُونَ» في سورة الأعراف فذلك لأنّ الذبح مُنبئ عن القتل وصفته وأمّا اسم القتل فلا يُفهم إلاّ إعدام الحياة ويتناول من غير المقتول في الغالب، فعبّر أولاً بما يوفي المقصود من الإخبار بالقتل مع إحراز الإيجاز، إذ لو ذكر القتل وأتبع بالصفة لما كان إيجازاً، فعدل إلى ما يحصل عنه المقصود مع إيجاز فقيل : «يُذَبِّحُونَ» وعبر في سورة الأعراف بالقتل لأنّه أوجز من لفظ يذبحون ،لأجل التضعيف إذ لفظ يذبحون أثقل لتضعيفه [٧٠] .

ومثله قوله تعالى ﴿ وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البَقَرَة الآية ١٢٠] ، وقال في السّورة نفسها ﴿وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [البَقَرَة الآية ١٤٥] ، وقال في سورة الرّعد قوله ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرَّعْد الآية ٣٧] [٣٧].

وهنا للسائل أن يسأل عمّا اختلف في هذه الآية مع اتفاقها في مطالعها ومعناها الظاهر فيقول : ما في هذه المواضع بمعنى الذي، فما الفائدة من الإبدال في إخراج بعضها على لفظ «الذي» وإيقاع الأخرى على لفظ «ما» وهل بين الذي – وما فرق ؟ . وكذلك ما وجه الاختلاف الحاصل بين الآيتين في الإبدال بين الاسمين في قوله «ولا نصير» وقوله في آية الرّعد «ولا واق» وكيف يتحقق رؤى التماسك في النّصين الكريمين ؟ .

الجواب على السؤال الأول : يقول الخطيب الإسكافي : ((أنّ «ما» إذا كانت بمعنى «الذي» فإنها توافقها، فإنّها تبْين بصفتها وتخالفها بأشياء كثيرة فتصير «الذي» متضمنة من البيان ما لا تتضمنه «ما» فمن ذلك إنّك تُدخل على «الذي» أسماء الإشارة فتكون الذي صفة لها، كقوله تعالى ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ [المُلْك الآية ٢٠] وقوله: ﴿ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾﴾ [المُلْك الآية ٢١] فيكتنف الذي بيانان: أحدهما الإشارة قبلها، والآخر الصلة بعدها، ولا يكون ذلك في «ما» لأنّها لا يوصف بها كما يوصف بـ«الذي» لا تقول : ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ﴾ [المُلْك الآية ٢٠] . والثاني : إنّ ما يذكر في حيّز ما كان صلة لها صفةٌ تبينها، وليس ذلك في«الذي».

والثالث: إنّ «الذي» تُثنّى وتُجمع وتؤنث فيلحقها هذه العلامات بياناً لهذه المعاني . و «ما» لا يلحقها ذاك بل هي لفظة واحدة في التثنية والجمع والتأنيث.

والرابع : إنّ «الذي» قد لزمتها أمارة التعريف وهي الألف واللام وليس ذلك ولا شيء ممّا ذكرناه في

«ما»، ولشدّة إبهامها خصّ التعجب بها لأنّ سبب التعجب إذا استَبْهَمَ كان أبلغ في معناه. فإذن تبينت أن «الذي» و «ما» التي بمعناها اسمان مُبهمان ناقصان ،والذي تزيد على ما، في وجوه البيان الذي ذكرنا))[٧١] .

وبهذا يكون التعبير القرآني إذا وضع اسماً معرفة في مكان، أو نكرة في موضع، فإنما يكون ذلك لحكمة يعلمها الله تعالى، وسرّ تقتضيه اللغة، وهدف يقصده المعنى، واتساق يقتضيه النص، ولو حاولنا وضع أحدهما مكان الآخر، لاختل التناسق في الآية، وزال الانسجام المطلوب وتماسكه في التركيب.

وأمّا الجواب الثاني في وجه الاختلاف الحاصل بين الآيتين في الإبدال بين الاسمين في قوله «ولا نصير" وقولِه في آية الرّعد «ولا واق» فذلك ((لأنّه لم يتقدّم بسطُ ذكرهم وأوجز الكلام واكتفى بالإيماء ناسبه إيجاز التحدير من حالهم فقال تعالى : ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا وَاقٍ ﴿٣٧﴾﴾ [الرَّعْد الآية ٣٧] ، فجيء بـ «ما» وهي أوجز من «الذي" لفظاً ما لم يقترن بها ما يقتضي التوسعة في معناها حسبما يتبين بعد، وقيل: «ولا واق» وذلك أوجز من قوله في آية البقرة «ولا نصير» لفظاً ومعنى فورد هذا كله ليناسب ويماسك ما قبله، ولما تقدّم قبل...آية البقرة عدة آيات في بسط أحوالهم وقبيح مرتكباتهم، ولقرب ذلك إلى الآية المقصودة تَوجّب الوارد فيها قوله تعالى عنهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌ﴾ [البَقَرَة الآية ١١٨] - إلى قوله ﴿يُوقِنُونَ﴾ [البَقَرَة الآية ١١٨] ، ثمَّ عرف في الآية التي بعدها حال أهل الكتابَين وبُعدَهم عن الإيمان بقوله ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البَقَرَة الآية ١٢٠] فبعد هذا الإطناب في وصفهم قال تعالى ﴿وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ مَالَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾﴾ [البَقَرَة الآية ١٢٠][٧٢] .

وبهذا يتحقق رؤى تماسك النّص وذلك لمناسبة لما قبله من الإطناب لفظاً، كما أنّ آية الرّعد متناسقة ومترابطة لما قبلها لإيجاز لفظ «ما» فإنّها على حرفين وأمّا «الذي» فعلى خمسة أحرف، ثمَّ إنّ معنى «نصير» أوسع من حيث أنّ فعيلاً من أبنية المبالغة فيعطى كثرة، والفاعل ليس كذلك، ثمّ أنّ لفظ «واق» أوجز، فقد تبين فرقان ما بينهما من حيث الإسهاب والإيجاز .

وأيضاً من الأمثلة قوله تعالى ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١١﴾﴾ [آل عِمْرَان الآية ١١] وقال في سورة الأنفال ﴿ كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ [الأَنفَال الآية ٥٢] [الأَنفَال الآية ٥٢] ، في الآية الثانية مخالفتها للآية الأولى في إجراء الخبر كله على لفظ واحد، وهي لفظة «الله»، لأنّه قال ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾ [الأَنفَال الآية ٥٢] ولم يقل كفروا بآياتنا كما قال في الأولى . وأيضاً الإبدال الحاصل بين الآيتين في جملتي «كَذَّبُوا» و «كَفَرُوا».

الجـواب عن ذلك أن يقال : ((إنّ الآية التي تقدّمت هـذه هي قولـه : ﴿إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال الآية ٤٩] فجرى الخبر في هذه الآية عـلى اللفظ الظاهر وهو ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الأنفال الآيـة ٤٩] ثمّ جاء بعدهـا ﴿وَلَوْ تَـرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنفـال الآيـة ٥٠] ولم يكن فيها خبر عـن الله تعالى، وجـاءت الآية ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ﴾ فيها إخبار عن الله، فكان بناؤها على الآية التي قبلها أولى ... ثـمّ كان لفظ الصريح في معناه احتجاجاً عليهـم)) (٧٣) . وأمّا الإبدال الحاصل بين الآيتـين في جملتـي «كَذَّبُوا» و «كَفَـرُوا» فذلك في ((آيـة آل عمران لمـا تقدّم قبلها ذكـر تنزيل الكتب الثلاثة والإشـارة إلى ما تضمنته من الهدى والفرقان وإنمّا أتي على مَنْ كَفَر بصده عنها، وتكذيبه ناسب ذلك قوله ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ [آل عِمْرَان الآية ١١] . ولمّا لم يقع في سـورة الأنفال من أولهـا إلى الآية المذكورة ذكـر شيء من الكتب المُنزّلة ولا ذكر إنزالها، وإنمّا تضمنت حال المسـلمين مـع معاصريهم من كفار العرب...ناسـب ذلـك التعبير بالكفـر فقال تعالى ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الأنفال الآية ٥٢] (٧٤) .

نَخْلُص ممّا تقدّم إلى أَنَّ الإبدال يُسـهم في جعل النّـص وحـدة دلالية متجانسـة، وبفضـل العلاقة الاتسـاقية التي تنشـأ بإحالة الاختلاف في اللفظين ليـدل على المعنـى المقصود، والأنسـب للغرض المراد في اتسـاق النـص القرآني وانسـجامه، وكذا الإبـدال في الحـروف ينشـأ دقّة في المعنـى يتفق مع جـرس الحرف المُختـار، فكأنّ هنـاك اختيـاراً مقصـوداً للصوت ليؤدي المعنى المُغاير لما يؤديه الصوت الآخر .

❊ ❊ ❊

فهرسة البحث

١ - شرح المفصل، علي بن يعيش النّحوي : ١٠/ ٧، ينظر : الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامهم، أحمد بن فارس : ٢٠٣، والبرهان في علوم القرآن، الزركشي : ٣/ ٣٨٨ .

٢ - شرح الأشموني ، نور الدين علي بن محمَّد : ٣/ ١٢٣، والاتساق في العربية، جبار سويس الذهبي: ٨٧.

٣ - شرح المُفصّل : ٤/ ٢١١ و ١/ ٧، وينظر : شرح الشافية، ابن حاجب : ٣/ ١٩٧.

٤ - ينظر : القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين : ٧٣ .

٥- ينظر : الكامل، المُبرّد : ٢/ ٩٧، والاتساق في العربية : ٨٨ .

٦- الكتاب : ٢/ ١٤ - ١٥ .

٧ - اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي : ١/ ٣٤٩ .

٨ - شرح المُفصّل :٣ / ٦٧، ويذكر ابن يعيش إنَّ هذا مذهب أبي الحسن الأخفشِ وجماعة من محقّقي المتأخرين كأبي عليّ والرمانيّ وغيرهم، وتبعهم الزمخشري صاحبُ كتابِ المفصل الذي شرحه ابن يعيش، الذي يرى أنَّ البدلَ مُستقلٌ بنفسه ودليلُهُ أنَّه في حكم تكريرِ العامل، ويستدلُّ على قوله بالآية التي ذكرت آنفاً، وكذلك قوله تعالى ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ﴾ [الزُّخرُف الآية ٣٣] فقوله تعالى ﴿لِبُيُوتِهِمْ﴾ [الزُّخرُف الآية ٣٣] بدلا من ﴿لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الزُّخرُف الآية ٣٣] وهو بدل الاشتمال .

٩- ينظر : شرح المُفصّل :٣/ ٦٧ .

١٠- الأصول في النحو، أبو بكر محمد بن سهل بن السّراج : ٢/ ٤٩.

١١- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي، د . حسام سعيد النّعيمي : ٩٨.

١٢- الكتاب، سيبويه : ٤/ ٤٣٣، وينظر : شرح المفصل : ١٠/ ١٢٤ .

١٣ – ينظر : الأصوات اللغوية، د . إبراهيم أنيس: ٧٦.

١٤ – ينظر : الكتاب : ٤/ ٤٧٧.

١٥- ينظر :لسان العرب (سرط)، ابن منظور :٩ / ١٨٥، والبحر المحيط، أبو حيان الأندلسي:١/ ٢٥، وإملاء ما منّ به الرحمن، عبدالله بن الحسين بن عبدالله العكبري : ١/٤ .

١٦ - التحرير والتنوير : ١/ ١٩٠ .

١٧ - تفسير النسفي، أبو البركات عبدالله النسفي: ١/ ٥، وينظر : تفسير البيضاوي، لناصر الدين أبي سعيد البيضاوي : ١/ ٩.

١٨- ينظر : في اللهجات العربية : ١٢٩ .

١٩- المحتسب، ابن جني : ٢/ ١٦٨ .

٢٠- ينظر : اللهجات العربية في التراث :٢/ ٤٤٦.

٢١- زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي الجوزي : ١/ ٥، وينظر : إملاء ما منّ به الرحمن : ١/ ٤.

٢٢- الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين عبد الرحمن السيوطي : ١٣٢/١.

٢٣ - المستدرك على الصحيحين، الحديث (٢٩١): ٢/ ٢٥٣.

(*) – يشير أبو علي الفارسي إلى قوله تعالى ﴿لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾ [القَصَص الآية ٢٣] .

٢٤- ينظر : الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي: ١/ ٥٣ – ٥٤ .

٢٥ - الكتاب : ٤/ ٤٧٧ .

٢٦ - التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور : ٨ / ٢٠٥ .

٢٧- المصدر نفسه : ٢/ ٤٨٣.

٢٨- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د . فاضل صالح السامرائي : ٤٧ .

٢٩- البرهان في علوم القرآن :١/ ٤٢٩ .

٣٠ - البحر المحيط : ٢/ ٤٧، وينظر: وزاد المُيسر: ١/ ٢٤٩، والفتح القدير، محمد بن علي الشوكاني: ١/ ٣٥٣.

٣١ - المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ابن عطية الأندلسي :١/ ٢٩٢.

(*)- فمنها قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرَّعْد الآية ٢٦] .

- ومنها قوله تعالى ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ﴾ [العَنكَبُوت الآية ٦٢] .

- وقوله تعالى ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الإسْرَاء الآية ٣٠] .

- وقوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرُّوم الآية ٣٧] .

- وقوله تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ [الرُّوم الآية ٤٨] .

٣٢ - ينظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ٤٨ - ٥٠ .

٣٣- ينظر : دراسة الصوت اللغوي، د . أحمد مختار عمر : ٢٦٩ - ٢٧٠ .

٣٤- ينظر : الكتاب :٤/ ٤٣٤، وشرح المفصل : ١٠/ ١٢٩ .

٣٥- تفسير النسفي : ١/ ١٢٦، وينظر: إعراب القرآن للنحّاس :١/ ٢٦٣، ٢٦٤، وتفسير الفخر الرازي : ٤٠٥/٣

٣٦ - تفسير الطبري :٨/ ١٠٣.

٣٧- ينظر : بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ٤٥، ومعجم الفروق الدلالية في القرآن الكريم، محمد داود : ١٥٠ .

٣٨- بلاغة الكلمة في التعبير القرآني :٤٥ -٤٦، وينظر : التعبير القرآني، د .فاضل صالح السامرائي : ١٥٦، ومفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني: ٥٧

٣٩ - تفسير النسفي : ١/ ١٧١، وينظر : تفسير البيضاوي : ١ / ٣٧٠ .

٤٠ - زاد المسير : ٥/ ٣٩١.

٤١- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي : ١٤١ – ١٤٢ .

٤٢– ينظر : الكتاب: ٤/ ٤٣٣- ٤٣٤، وشرح المفصل : ١٠/ ١٢٤- ١٢٨، والأصوات اللغوية : ١٨٩.

٤٣- مُعجزة القرآن الكريم، د . رشاد خليفة : ٦٧ – ١٧٧، والتعبير القرآني : ١٣ - ١٥٦ .

٤٤ - ينظر تفصيل ذلك في كتاب مُعجزة القرآن الكريم : ٢٤ وما بعدها .

٤٥- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أحمد بن إبراهيم الزبير الغرناطي : ١/ ١٧٦ .

٤٦ - الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي : ٩٨ .

٤٧ - معاني القرآن، الفراء : ١/ ٤١، وينظر : والبحر المحيط : ١/ ٢١٩ .

٤٨ - ينظر : المحتسب : ٢/ ٦٦ .

٤٩- ينظر : الكتاب : ٤/ ٤٣٣ - ٤٣٥، وسر صناعة الإعراب ابن جني : ١/ ٧٠، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنّي : ٩٨.

٥٠- ينظر : المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ١/ ٨٧، وتفسير الطبري، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري: ٢/ ١٢٩، وأيضاً هي قراءة عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) أخرج ابن أبي داود عن ابن عباس قال : قراءتي قراءة زيد، وأنا آخذ ببضعة عشر حرفاً من قراءة ابن مسعود هذا أحدها ﴿مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ [البَقَرَة الآية ٦١] ينظر : المحتسب : ١/ ٨٨، والدّر المنثور في التفسير المأثور : ١/ ١٢٧ .

٥١ - معاني القرآن : ١/ ٤١، وينظر : الفتح القدير: ١/ ١١٠.

٥٢- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن سهيل الزجاج : ١/ ١٤٣.

٥٣- سر صناعة الإعراب : ١ /٢٥٢.

٥٤- المحتسب :١/ ٨٨، وينظر : الخصائص : ٢/ ٨٤ .

٥٥- ينظر : الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : ١٤٦

٥٦ - لهجة تميم وأثرها : ١١٢، وينظر : الجامع لأحكام القرآن، القرطبي : ١ / ٤٢٥

٥٧- الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني : ٢٧٧ .

٥٨- الخصائص : ١ / ٦٥.

٥٩- ينظر : الكتاب : ٤/٤٣٥ ، وسر صناعة الإعراب : / ٧٠ .

٦٠- الكتاب : ٤/ ٤٣٣ .

٦١ - ينظر : اللهجات العربية في التراث : ٢/ ٤٤٦.

٦٢- وهي قراءة الحسن البصري، تفسير النسفي: ٣/ ٩٨ .

٦٣- المحتسب : ٢ / ٥٥ .

٦٤ - بلاغة الكلمة في التعبير القرآني : ٣٣ - ٣٤، وينظر : التعبير القرآني : ١٨ – ١٩ .

(*)- في قوله تعالى ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ﴾ [النِّسَاء الآية ١١٥] .

- وقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ١٣﴾ [الأَنفَال الآية ١٣] .

- وقوله تعالى ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٤﴾ [الحَشْر الآية ٤] .

٦٥ - ينظر : التعبير القرآني : ١٨ .
٦٦ - لغة القرآن «دراسة توثيقية فنية»، د . أحمد مختار عمر : ١٦٤ – ١٦٥ .
٦٧- درّة التنزيل وغرة التأويل، أبو عبد الله الخطيب الإسكافي : ٦٩ .
٦٨- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل:١/ ١٠٥- ٢١١ وينظر : الجامع لأحكام القرآن : ١/ ٤١٦، والمحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز : ٧٧/٢ .
٦٩- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل :١/ ١٩٨ .
٧٠- المصدر نفسه : ١/ ٢٠٠، وينظر : درّة التّنزيل وغرة التأويل : ٧ .
٧١ - درّة التّنزيل وغرة التأويل : ١٣ – ١٤ .
٧٢- ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل : ١/ ٢٢٩ .
٧٣- درّة التنزيل وغرة التأويل : ٣١ – ٣٢ .
٧٤ - ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل : ١/ ٢٩١ .

❋ ❋ ❋

المصادر والمراجع

• الاتساق في العربية «دراسة في ضوء علم اللغة الحديث». جبار سويس الذهبي، الجامعة المستنصرية /٢٠٠٠م .
• الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين عبد الرحمن بن الكمال أبي بكر محمد السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة الحسني، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى /١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م .
• الأصوات اللغوية، د . إبراهيم أنيس – مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة الخامسة /١٩٧٩م .
• الأصول في النحو : أبو بكر محمد بن سهل بن السّراج (ت٣١٦هـ) تحقيق : د. عبدالحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت – الطبعة الثانية / ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م .
• املاء ما مَنْ بهِ الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، لمحب الدين أبي البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري (ت٦١٦هـ) دار العلم القاهرة – مصر (د- ت) .
• أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف بـ (تفسير البيضاوي)، لناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي الشافعي البيضاوي (ت٧٩٦هـ)، مطبعة دار الفكر، بيروت / ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م .
• الإيضاح في شرح المفصل، لجمال الدين أبي عمرو عثمان المعروف بابن الحاجب النحوي

المالكي (ت٦٤٦هـ) تحقيق : د. موسى بنيان العليلي، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، مطبعة العاني - بغداد / ١٩٨٢م .
• البحر المحيط، تفسير أبي حيان الأندلسي، أثير الدين أبو عبدالله محمد بن يوسف بن علي الأندلسي الغرناطي (ت ٧٤٥هـ)، مطبعة دار الفكر، المغرب، الطبعة الأولى / ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م .
• البرهان في علوم القرآن، بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
• بلاغة الكلمة في التعبير القرآني، د . فاضل صالح السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد / ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م .
• البيان في روائع القرآن، د. تمّام حسّان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية /١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م
• التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، تأليف محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت١٣٩٣هـ)، دار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الأولى / ١٩٨٤م .
• تفسير الطبري المسمى بـ (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) هذّبه : د . صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم - دمشق، الطبعة الأولى / ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م .
• تفسير الفخر الرازي، المعروف بـ (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب)، فخر الدين أبو عبد الله محمد بن الحسين التميمي الرازي (ت ٦٠٦هـ) منشورات دار الفكر، بيروت لبنان، الطبعة الثالثة / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥ م .
• تفسير القرآن الحكيم المشهور بـ (تفسير المنار) محمد رشيد رضا (ت ١٨٦٥هـ) منشورات دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى /١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
• تفسير النسفي المسمى بـ (مدارك التنزيل وحقائق التأويل) لأبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفي (ت ٧٠٥هـ) منشورات مكتبة محمد علي صبيح، مصر، القاهرة / ١٣٨٥هـ - ١٩٦٦م
• الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني، مطبعة دار الشعب القاهرة، الطبعة الثانية / ١٣٧٧هـ.
• الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ) تحقيق : محمد علي النّجار، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، الطبعة الثانية / ١٣٧٦هـ - ١٩٥٦م .
• الحجة للقراء السبعة، أبو علي الفارسي بن أحمد (ت ٣٧٧ هـ) تحقيق، علي النجدي واخرون ، الطبعة الأولى (د – ت) .
• الدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جني، د. حسام سعيد النعيمي، منشورات وزارة الثقافة والاعلام الجمهورية العراقية - بغداد /١٩٨٠ م .
• الدُّر المنثور في التفسير بالمأثور، جلال الدين السيوطي (ت ٩١١هـ) دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى / ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣ م .

• دراسة الصوت اللغوي، د .أحمد مختار عمر، عالم الكتب، الطبعة الأولى / ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م .
• درة التنزيل وغرة التأويل في بيان الآيات المتشابهات في كتاب الله العزيز، أبو عبد الله محمد بن عبدالله الخطيب الإسكافي (ت٤٢١هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى / ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م .
• روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسّبع المثاني، لأبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ)، صححه وعلَّق عليه : السيد محمود شكري الآلوسي، دار الفكر، بيروت / ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
• زاد المسير في علم التفسير، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٨هـ) مطبعة المكتبة الإسلامية، لبنان، بيروت، الطبعة الثالثة / ١٤٠٤هـ.
• سر صناعة الإعراب، أبو الفتح عثمان ابن جني (ت٣٩٢هـ) تحقيق نخبة من الأساتذة : مصطفى السقا، محمد الزفزاف، إبراهيم مصطفى، عبد الله أمين - شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، الطبعة الأولى /١٣٧٤هـ - ١٩٥٤م .
• شرح الأشمونيّ، نور الدين علي بن محمَّد تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة؛ مصر/ ١٩٥٥م .
• شرح الرَّضي على الكافية، محمد بن الحسن الرضيّ الإستراباذي (ت ٦٨٨هـ) تحقيق : يوسف حسن عمر، مؤسسة الصادق للطباعة والنشر، طهران - الطبعة الثانية (د - ت) .
• شرح المفصل، موفق الدين أبو عبد الله بن علي بن يعيش النّحوي (ت ٦٤٣هـ) تحقيق : أحمد السيد، المكتبة الأميرية، مصر (د – ت) .
• الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، لأبي الحسن أحمد بن فارس اللغوي (ت ٣٩٥هـ) تحقيق : مصطفى الشويمي، مؤسسة بدران للطباعة والنشر – بيروت / ١٤٨٣هـ - ١٩٦٤ م .
• فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (ت١٢٥٠هـ) صححه أحمد عبد السلام، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان (د – ت) .
• القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، د. عبد الصبور شاهين، دار القلم /١٩٦٦م .
• الكافية في النحو، جمال الدين بن عمرو عثمان بن عمر المعروف بابن الحاجب النحوي المالكي (ت ٦٤٦هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان – الطبعة الثانية/١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م .
• الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر المشهور بسيبويه (ت ١٨٠هـ) تحقيق : عبد السلام محمد هارون، عالم الكتاب، بيروت – الطبعة الثالثة / ١٣٠٨هـ - ١٩٨٨م .
• كتاب الصناعتين، لأبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت٣٩٥هـ) منشورات المكتبة العصرية، بيروت - لبنان / ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م .
• لغة القرآن دراسة توثيقية فنية ،أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية / ١٩٨٨م .
• اللهجات العربية في التراث، د. أحمد علم الدين الجندي، الدار العربية للكتاب، ليبيا/ ١٣٩٨هـ -

١٩٧٨م .
• لهجة تميم وأثرها في العربية الموحدة، غالب فاضل المطلبي، منشورات وزارة الثقافة والفنون جمهورية العراق (د - ت) .
• مباحث في علوم القرآن، د. مناع القطان، دار العلم للملايين، بيروت (د – ت) .
• المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها، أبو الفتح عثمان بن جني، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، مؤسسة التحرير للطبع والنشر - القاهرة / ١٣٨٦هـ .
• المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبد الحق بن عطية الأندلسي الغرناطي (ت ٥٤٦هـ) تحقيق ،عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى / ١٩٩٣م .
• المحيط في اللغة، الصاحب إسماعيل بن عبّاد (ت ٣٨٥هـ) تحقيق : محمد حسين آل ياسين، عالم الكتاب، بيروت – لبنان، الطبعة الأولى / ١٤١٤هـ - ١٩٩٤ م .
• المستدرك على الصحيحين، أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥هـ)، تحقيق : مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى / ١٤١١هـ -١٩٩٠م .
• معاني القرآن، أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء (ت ٢٠٧هـ) تحقيق: د . عبد الفتاح إسماعيل ومحمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة، القاهرة / ١٩٧٣ م .
• معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم بن السّري بن سهيل الزجاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق : د . عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت- الطبعة الأولى/ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م .
• مُعجزة القرآن الكريم، د . رشاد خليفة، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثانية / ١٩٨٨م .
• المفصل في علم العربية، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، مطبعة دار الجيل، بيروت - الطبعة الثانية (د – ت) .
• ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل في توجيه المتشابه اللفظ من آي التنزيل، أبو جعفر أحمد بن إبراهيم الزبير الغرناطي (ت ٧٠٨ هـ) تحقيق، د. محمود كامل أحمد، دار النهضة العربية، بيروت - الطبعة الأولى / ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م .

❊ ❊ ❊